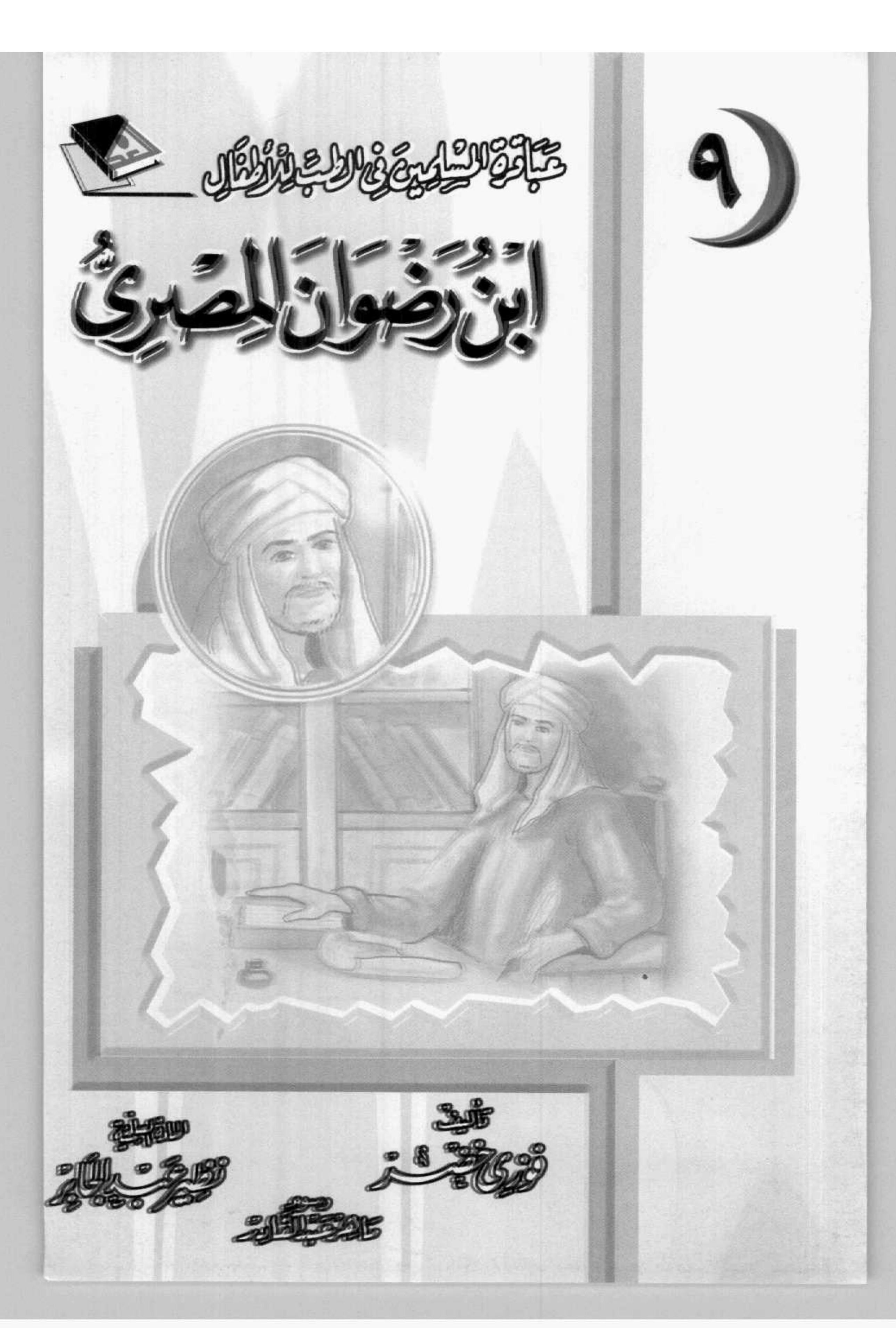

٩
عباقرة المسلمين في الطب للأطفال
ابن رضوان المصري
تأليف
فوزي خضر
نظير محمد عبد الجابر
رسوم
ماهر عبد القادر

الناشر : مكتبة ومطبعة الغد

العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - إمبابة - جيزة

تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢

رقم الإيداع : ٨٣١٩ / ٩٩

الترقيم الدولى : 2 - 34 - 5819 - 977

رسوم وإخراج فنى : ماهر عبد القادر

خطوط : مصطفى عمرى

مراجعة لغوية : حمزة عبد المنعم الزمر

الطبعة الأولى : صفر ١٤٢٠ هـ - يونيو ١٩٩٩ م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَانَ رَضْوَانُ بنُ علىٍّ بنُ جعفرٍ يَعْمَلُ فرّاناً ، وذاتَ يوم فى أواخر القرن الرابع الهجرى جاءَهُ أحدُ الغِلْمانِ مسرعاً ، يخبرُه أنَّ زوجَتَه قد وَلَدَتْ له ولداً . أسرعَ رضوانُ إلى داره كَىْ يَطْمَئِنَّ على صحَّة زوجتِه وولَدِه ، سألتُهُ زوجتُهُ : ماذا سَتُسَمِّى وَلَدَكَ يا رضوانُ ؟

فأجابها : سوف أُسَمِّيهِ علياً ، مثلَ اسمِ والدى .

تَمَنَّت الزوجةُ حينذاك أنْ يكُونَ وَلَدُها على - فى المستقبل - ولداً مُطيعاً ورجلاً صالحاً ، وظلَّتْ ترعاه بحنان وعطفٍ ، ووفَّرَ له والدُه ما يَقْدِرُ عليه كَىْ يَسْتَمْتِعَ بطفولته فلمَّا وصل إلى سِنِّ السَّادسة أرسلَه إلى أحَدِ المكاتب التى تَقُومُ بتعليم الصبيان، فَتَعَلَّمَ القراءةَ والكتابةَ وحَفِظَ القرآنَ الكريمَ ، وتعلّم مبادِىءَ الحسابِ والفقهِ والحديثِ .



انتقل عَلِيُّ بنُ رضوانَ إلى القاهرة حينما بلغ العاشرةَ من عمره ، كَيْ يَستكمِلَ تَعليمَهُ ، وكان والِدُه يُرْسِلُ إليه بنَفَقَاته حتى وصل إلى الخامسة عشر من عمره ، وحينذاك قَرَّرَ أَنْ يَدْرُسَ الطبّ ، لأنَّ عَمَلَ الطبيب يَتَّسِمُ بالخير ، والطَّبيبُ الأمينُ يَعْمَلُ فى طاعة الله عزَّ وجلَّ ، وكان عَلِيُّ بْنُ رضوانَ يقول : « العيش عندى فى الفضيلة أَلَذُّ من كلِّ عَيْشٍ » لذلك اهتَمَّ بكتب الطب فأَخَذَ يَدْرُسُها بِشَغَفٍ واجتهادٍ .

والإنسانُ لا يَنْجح فَجْأةً ، فإنَّ كُلَّ نجاح لا بدَّ أنْ يَسْبِقَهُ اجْتهَاد ولا بُدَّ أَنْ يَسبقَهُ جُهْد مَبْذُولٌ يُمهِّدُ الطَّرِيقَ للنَّجاحِ ، وقد تَعِبَ عَلِيُّ بْنُ رَضْوانَ كثيراً حتى وصل إلى النجاح ، اسْتَمَرَّ فى تحصيلِ العلومِ الطبيةِ ، ودراسة الكتب ، لكنَّهُ لَمْ يكُنْ لَدَيْهِ مَالٌ يُنْفِقُهُ على حياته لِيُوَفِّرَ لِنَفْسِهِ المسْكَنَ والمأْكَلَ والملْبَسَ ، لذلك عَمِلَ فى الفلك أحياناً ، وفى التدريس للصِّبْيانِ الصِّغارِ أحْياناً أُخْرَى ، وفى الطبِّ أيضاً .



وظَلّ يجتَهِدُ فى دراسةِ الكتبِ الطبيةِ ، فلَمَّا وَصلَ إلى الثَّانيةِ والثلاثينَ من عُمْرِهِ كان قد صار طبيباً معروفاً ، وصار لَدَيه ما يكفيه من عمله بِصِفَتِهِ طبيباً ، وبذلك تَفَرَّغَ لِمِهْنَةِ الطبِّ وحدها ، ومع مُرورِ الأيام صار يكْسَبُ ما يزيدُ عن حاجته ، فانتقلَ من سكنِهِ المتواضعِ إلى دارٍ مناسبةٍ ، فلما كثرت مكاسبه اشْتَرَى بَعْضَ الأراضِى والأملاك فى القاهرة .

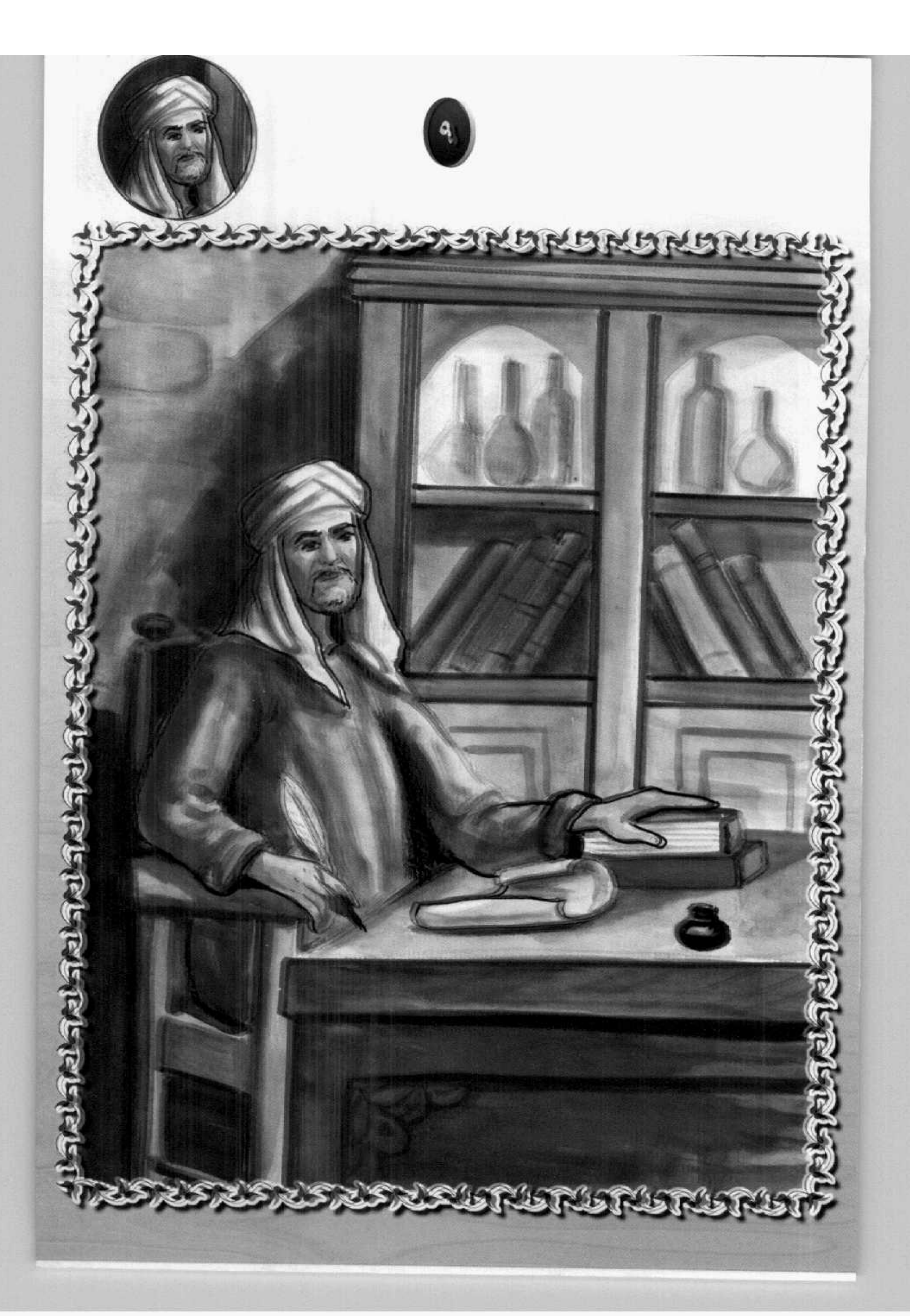
استطاعَ عَلِيُّ بْنُ رَضْوَانَ أَنْ يُحَقِّقَ نجاحاً كبيراً فى مجالِ الطبِّ ، لأنه تمَكَّنَ من علم الطب تمكُّناً تاماً بِسَبَبِ حِرْصِهِ



على دراسةِ كلِّ الكتبِ الطبيةِ التى نَجَحَ فى الْوُصُولِ إليها ، سَوَاءٌ كُتُبُ العربِ أَوِ الكُتُبِ الأجْنَبِيَّةِ التى أَلَّفَها أطبَّاءُ اليُونَانِ ، بالإضافةِ إلى اجتهاده فى مُدَاوَاةِ المرْضَى .

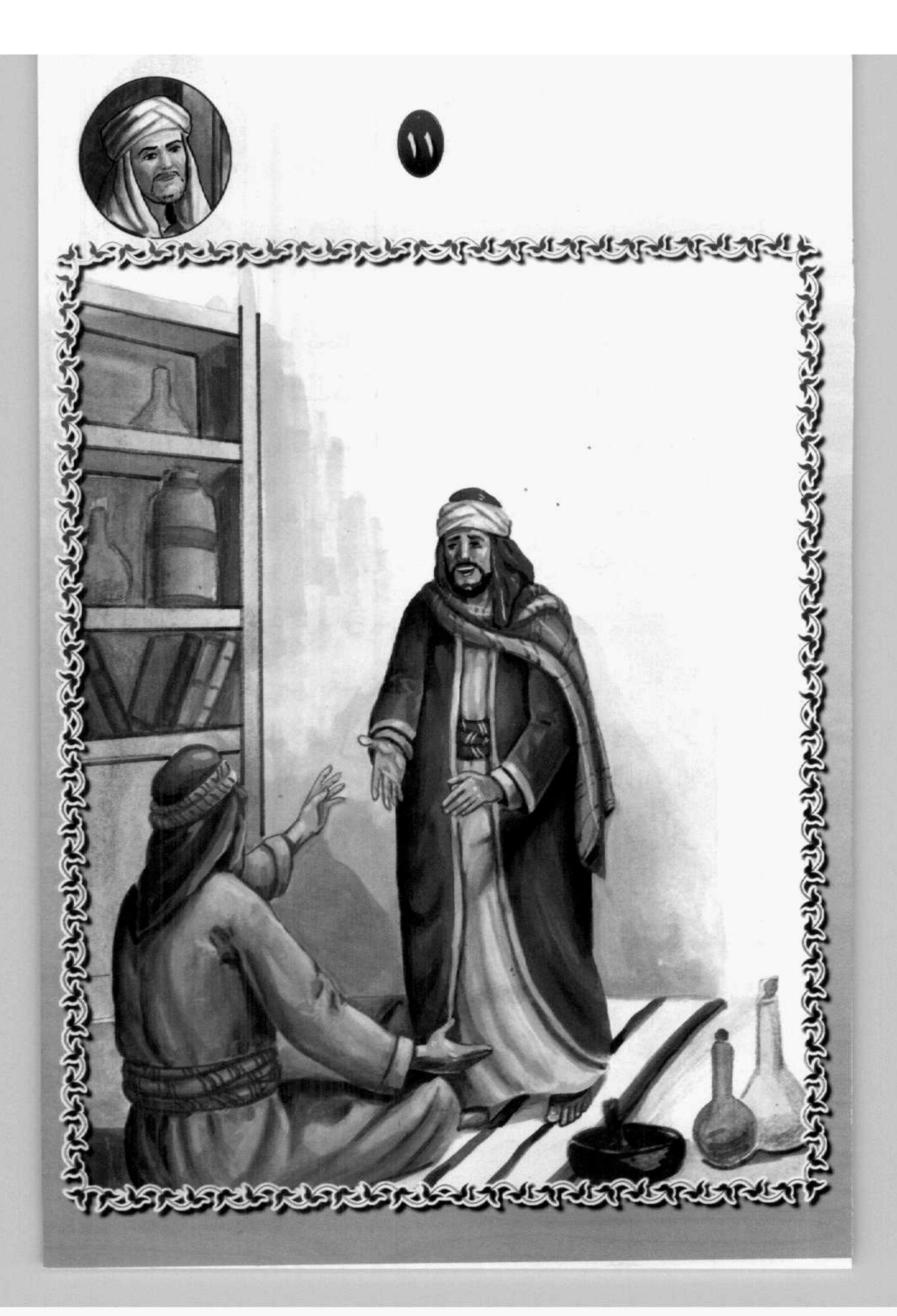
لَمْ يكُنْ عَلِيُّ بْنُ رَضْوانَ يكْتَفِى بقراءة الكتب ، بل كان يَشرحُ كلَّ كتابٍ يقرؤه، أوْ يَخْتَصِرُهُ ، وكان خلالَ شرحه لأحَدِ الكتب يُنَاقِشُ كثيراً من المسائلِ الطبية ، التى تُثيرها المعلوماتُ الواردةُ فى الكتاب ، بالإضافة إلى أنَّهُ ألَّف عدداً لا بأس به من الكتب ، حتى وصل عَدَدُ ما شرَحه وما اختصرَهُ وما ألفه إلى ما يقرب من مائة كتابٍ ، عَشَرَةَ كتبٍ منها فقط فى العلوم الدينيةِ والفلسفيةِ والفلكيةِ والجغرافيةِ ، والكتب الأُخرى - جميعها - فى العلوم الطبيّة .

وقد وَضَعَ عَلِيُّ بْنُ رضوان لنفسه نظاماً يَسِيرُ عَلَيْه فى حياتِه، وقد ذَكَرَهُ فى أحد كتبه ، وهذا النظامُ العمليُّ والأخلاقىُّ يَصْلُحُ للإنسان فى كل زمان وفى كل مكان . قال عَلِيُّ بْنُ رضوان : إنَّه كان يَعْمَلُ كلَّ يوم بِمِهْنَةِ الطبِّ حتى يَحْصُلَ على ما يُغْنيه ، ويَقُومُ - كلَّ يوم أيضاً - بممارسةِ الرِيَاضَةِ التى تَحْفَظُ صِحَّةَ الْبَدَنِ ، ويَجْتَهِدُ فى جميعِ تَصرفَاتهِ



فى أَنْ يكُونَ مُتَواضِعاً مع الناس ، لا يتَعَالَى على أحد ، وأنْ يكُونَ حَسَنَ السُّلُوكِ مُلْتَزِماً بالأدب الذى يَجْعَلُ الإنسانَ مُحْتَرماً وَمَحْبوباً مِنَ الآخرين ، وكان يُسْعِفُ المحتاجَ بِالإِسْراعِ بمساعدته ، وَيُفَرِّجُ أَحْزانَ كلِّ مَنْ وَقَعَ فى أَزْمة ، ويُساعدُ كلَّ من يُعانِى من قَسْوَةِ الظُّروف ، وكان هَدَفُهُ من كُلِّ ذلك الشّعورِ بالسعادة لأنَّه يُساعدُ الناسَ ، فإنَّ شُعُورَهُ بأنَّهُ يُخَفِّفُ عن الآخَرِينَ آلامَهُم كان يَمْنَحُهُ ما يُرِيدُهُ من راحة الْبالِ والرِّضَا والهَنَاء ، وهذا السلوكُ الطيِّبُ كان يَدْفَعُ الناسَ إلى السَّعيِ إليه لِمُدَاوَاتِهِمْ ، فَيَحْصُلُ من ذلك على أجر يُنْفِقُ منه على نفسه وعلى بَيْته .

وَصَفَ عَلِيُّ بْنُ رَضْوانَ أُسْلُوبَه فى الإنفاق على منزله ، فقالَ : إنه يُنْفِقُ بِدرَجَة لا تَبْلُغُ التَّبْذِيرَ ، ولا تَنْحَطُّ إِلَى التَّقْتِيرِ وَالْبُخْلِ ، بل يُنْفِقُ فى الدَّرجة الْوُسْطَى التى تَدْعُو إليها الحكمةُ ، ويقولُ : إنَّهُ يَنْظُرُ فى منزله لِيرَى ما يَحتاجُ فيه إلى إصْلاحٍ فَيُصْلِحهُ ، وما يحتاجُ إلى بَدَلٍ فَيُبَدِّلَهُ بِغَيْره ، وَهُوَ

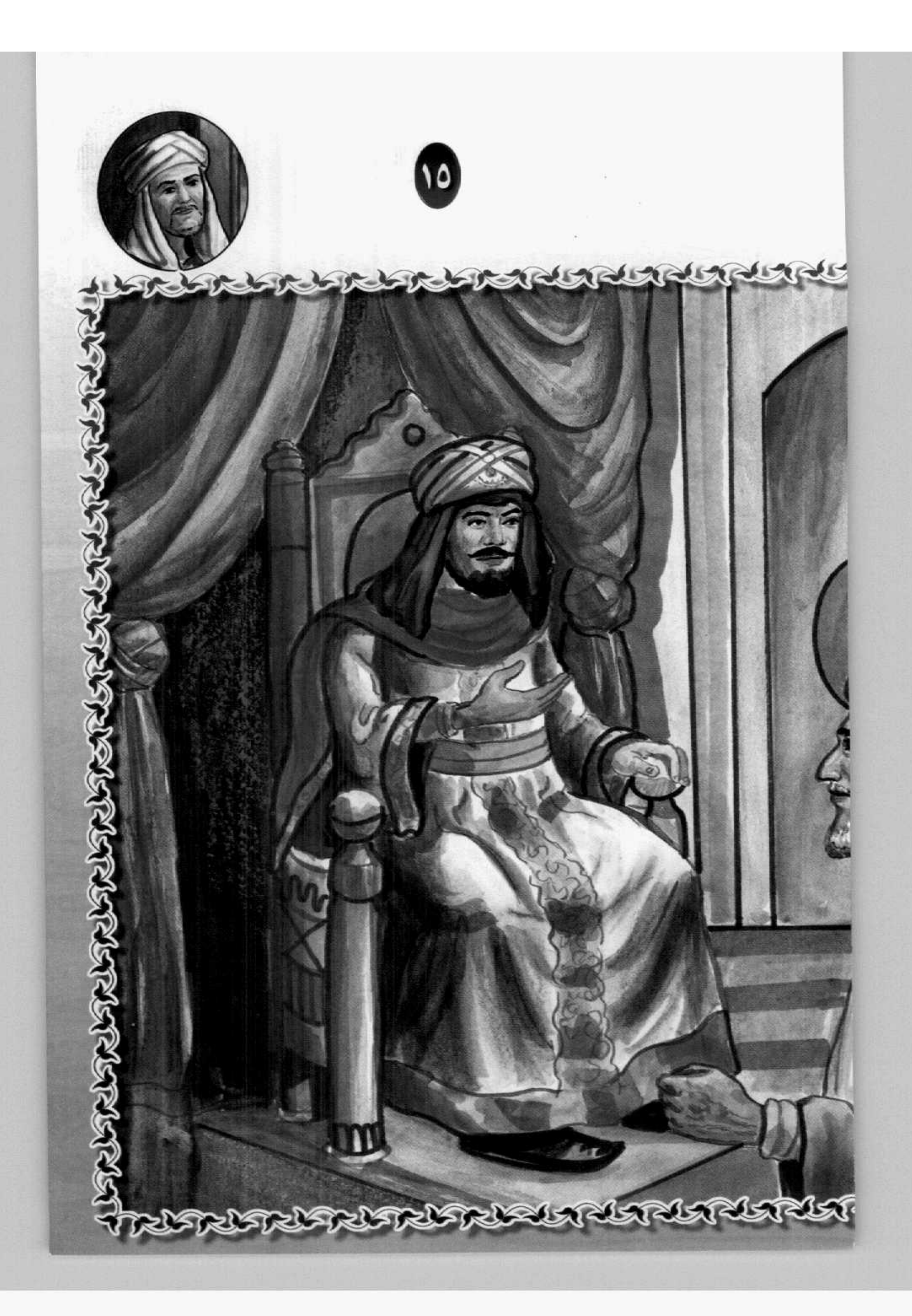


يَجْعَلُ فى بَيْتِهِ ما يحتاجُ إليه من طعامٍ وشرابٍ ، وما يَحتاجُ إليه من حَطَبٍ يَسْتَخْدِمُهُ فى طَهْىِ الطَّعام وإعدادِ الْخُبْزِ ، كذلك يَشْتَرِى ما يَحتاجُ إليه من الثِّيَابِ ، وما يزيد عن حاجته بعد ذلك كان يصرفُهُ فى وُجُوهِ الْخَيْرِ ، فَيُعْطِى الأهل والأصدقاء والجيران ، أَمَّا ما كان يَحْصُلُ عليه من مالٍ من أملاكه ، فكان يَدّخِرُهُ لوقت الحاجة إليه .

ويُوَاصِلُ عَلِىُّ بْنُ رضوان تفسيره لأسلوبه فى الحياة فيقول : إنِّى أَجْتَهِدُ ألا أتكلَّم إلا بما يَنْبَغِى ، وإنْ وَاجَهَنِى أمرٌ فادحٌ أسْلَمْتُ أمْرى فيه إلى الله - تعالى - وقابلت ذلك الأمْرَ بما يُوجِبُه التَّعَقُّلَ من غير جُبْنٍ ولا تَهَوُّرٍ ، وَأَسْتَعْرِضُ فى وقت خَلْوَتِى ما قمت به فى يَوْمِى من أفعال ، فَأَفْرَحُ لِمَا كان نَافعاً وجميلاً وخيراً ، وأشْعُرُ بالغمِّ لما كان شراً وقبيحاً ، فأصَمِّمُ على عدم العودة إليه ، وأمَّا الذى يشعرنى بالسعادة فهو ذكر الله - عزَّ وجلَّ - وتمجيده بالنظر فى مَلَكُوتِ السَّموات والأرض .



هكذا كان تفكيرُ عَلِىٍّ بْنِ
رضوان ، وهكذا كانت
أخلاقه ، لذلك لَيْسَ
بِمُسْتَغْرَبٍ أَنْ نَجِدَهُ محبوباً من
الناس ، ناجحاً فى عمله ،
لدرجة أَنَّ الخليفةَ الحاكِمَ
الفاطِمىَّ قد جعله طبيبه
الخاص ، وجَعَلَهُ رئيساً لأطباء
مصرَ جَمِيعِهِمْ .



وقد نَجَحَ عَلِيٌّ بْنُ رضوان على المُسْتَوَى العلميِّ ، فَحقَّقَ فى العلوم الطبية إنجازاتٍ كبيرةً ، خَلَّدَتِ اسْمَهُ على مَرِّ العصور ، وقد قالت الألمانيةُ (د . زيجريد هونكة) فى كتابها « شمس العرب تَسْطُعُ على الغرب » :

اسْتَطَاعَ عَلِيُّ بْنُ رَضْوانَ المصرِيُّ أَنْ يَصِفَ كثيراً من الأمراض التى لَمْ تكُنْ معروفةً من قَبْله ، وأَوْضَحَ طُرُقَ تَشْخِيصِهَا وَعلاجِها ، مِمَّا يَضَعَهُ فى مَرْتَبَة الأطباءِ العالميين الكبار .

وقال (فستنفلد) فى كتابه « تاريخِ الطبِّ العربيِّ » :

إنَّ عَلِيَّ بْنَ رضوان من أَعْظَمِ الأطباءِ الذين عَرَفَهُم تاريخُ الطبِّ .

وَهكَذَا استَطَاعَ ابنُ رَضْوَانَ الْمصرِيُّ بِعَمَله وَاجْتِهَاده وَأَخلاقه الْحَميدَةِ ، أَنْ يكْتُبَ اسْمَهُ بِحُرُوفٍ مِن نُورٍ فِى تَارِيخِ الطِّبِّ فِى الْعَالَمِ .